الطبقة الأولى من الصحابة

طبقة أوائل المسلمين بمكة

وهي (الأولى إسلاماً في دعوة الأقربين): والأقربون هم أول من أسلم مع بعض مواليهم، وخاصة خديجة وعلي وزيد، ويمكن أن أطلق على هذه (طبقة أوائل المسلمين) وهذه الطبقة أفراد نحو العشرة.

وأبرز هؤلاء آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كزوجته خديجة وبناته الأربع وربيبه علي ومواليه كزيد بن حارثة وأم أيمن وغيرهم من المبادرين كأبي بكر وخالد بن سعيد وسعد بن أبي وقاص وهذه أسماء رجال ونساء هذه الطبقة مرتبتين حسب سبق الإسلام – مع الإشارة للخلاف عند الحاجة ودون توسع.

(١) خديجة بنت خويلد (10 للبعثة): أول من آمن بالنبوة على المشهور[1]، وهي زوج النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان لها أثر عظيم في الدعم المعنوي والمادي للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهي أفضل زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يبلغ فضلها واحدة منهن لا

[1] وهناك رأي آخر لي بأن أول من آمن بالنبوة مطلقاً هو علي بن أبي طالب، وأنه كان على تربية النبي (ص) يؤمنان بالله قبل الوحي، وأنه صلى مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين (جاء ذلك في أحاديث كثيرة جداً عن الإمام علي)، وهذه السبع إما أن تكون قبل الوحي، أو بعد الوحي، أو تكون مقسمة قبل الوحي وبعده، وأقرب هذه الأمور أن تكون قبل الوحي، فقد كانا يتعبدان على ملة إبراهيم عليه السلام، وباعتراف الجميع أنه كان في مكة أحناف من اتباع الحنيفية وهي ملة إبراهيم، ولا ريب أن النبي (ص) كان أكمل الناس عقلاً وقلباً وأن هذا يعني أنه أولى الناس بها ويدل على ذلك تعبده في غار حراء قبل بدء الوحي، وكان الإمام علي يتبع الرسول (ص) اتباعاً كاملاً في كل شئونه، ثم بعد نزول الوحي بقي الثلاثة : النبي (ص) وعلي بن أبي طالب وخديجة يعبدون الله مدة قبل أن يسلم أحد كما في حديث عفيف الكندي وغيره.

عائشة ولا أم سلمة ولا غيرهما رضي الله عنهن أجمعين، وهي أكبر من بذل الأموال في نصرة الإسلام، وقد أنفقت تجارتها في هذا الشأن، وماتت في نهاية حصار الشعب أو بعد رفع الحصار مباشرة، وقد رزق منها أبناء وبنات، والمعلومات عن الأبناء شحيحة جداً وبعضها متناقض، فالمقل يقول هم اثنان والمكثر يجعلهم أحد عشر من البنين والبنات، وأشهرهم القاسم ثم عبد الله، ثم هناك أسماء أو ألقاب مثل الطيب والمطيب والطاهر والمطهر، ولا يصح عبد مناف ولا عبد الكعبة، أما البنات فمشهورات (وسنتبع هذا البحث بضميمة في أولاد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من خديجة، وهم كل أولاده إلا إبراهيم فمن مارية).

(٢) علي بن أبي طالب (40هـ): ربيب النبي "صلى الله عليه وآله وسلم"[2] وكان له أثر عظيم في الإسلام فقد كان من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بمنزلة الإبن أو الأخ المخلص (كمنزلة هارون وموسى) وكان بطل الحروب النبوية بلا منازع مع ما آتاه الله من العلم والفقه والزهد وطول الملازمة والشجاعة والقرابة والفصاحة والبيت الشريف وكان رأس بني هاشم بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مظلوم من النواصب والخوارج وغلاة السلفية، أما معتدلو أهل السنة فيحبونه ويذمون معاوية فليقون عنتاً من أتباع معاوية، وهذا من الابتلاء، والمسلمون فيه فريقان، محبون بطبقات، ومبغضون بطبقات، وبه تتم معرفة المؤمن ولو كان مخرفاً، والمنافق ولو كان عاقلاً! وهو أفضل من يمثل النبي صلوات الله عليه علماً وعدلاً وشجاعة وتفكراً وفهماً لسنن الله في خلقه، وهذا طبيعي فهو من صنع على عين النبي صلوات الله عليه وسلامه منذ أن كان طفلاً، وكان لا يفارقه، ويهتز وجلاً إذا ذكر النبي (ص)، وهو كما قال الواقدي (علي من معجزات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وصدق الواقدي، فإن من عاش ملتصقاً بالنبي (ص) ويكون في هذا التجلي ثم يكون من الزاهدين والعلماء والعادلين ... هذا كله يدل على أنه معجزة النبي صلوات الله عليه وسلامه، لأن القريب يعرف من أخطاء قريبه ما لا يعرفه الآخرون، أما المقربون من النبي فيعرفون من عظمته ما لا يعرفها الآخرون، ولو اكتشفوا تناقضاً بين أقوال النبي وأفعاله ، أو بين

---

(2) بعضهم يرى أن علياً كان يتبع النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" في اتباع الملة الحنيفية قبل النبوة وأنه كان يتعبد معه على دين إبراهيم ويستدلون بقول الإمام علي: (أسلمت قبل الناس بسبع سنين) وإن صحَّ هذا فيحتمل بالإسلام هنا ملة إبراهيم عليه السلام التي كان عليها النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" قبل البعثة، -وهذا يحتاج لبحث-.

القرآن والنبي لشكوا ولما كانوا بهذا الحماس والإيمان العميق بالنبوة، فالواحد منا اليوم له صورة حسنة عند الناس لكن أولاده يعرفون من أخطائه ما لا يعرف الناس، وكذا كل السلاطين والعلماء، إلا النبي صلوات الله عليه فهو على العكس من ذلك، فهذا علي أخوه وربيبه يهتز عند وصفه، وهذا زيد بن حارثة يفضله على أبيه وأمه وأهله.

(٣) زيد بن حارثة الكلبي (8هـ): مولى النبي "صلى الله عليه وآله وسلم" وكان له الأثر العظيم أيضا وقد كان قائد السرايا في عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بلا منازع واستشهد في غزوة مؤتة، وفي قصته عجائب من اختياره النبي (ص) على أبيه وأهل بيته، بعد أن خيره النبي (ص)، وفي اختياره النبي (ص) دليل على عظمة هذا النبي صلوات الله وسلامه عليه، لأن زيد بن حارثة كان كبيراً يوم التحق بالنبي (ص) وله أشعار في ذكر شوقه لوطنه وأهله، إلا أن جاذبية النبي (ص) وخلقه جعلت زيد بن حارثة يفضل البقاء خادماً على أن يعود حراً طليقاً، وقد قدر له النبي (ص) هذا الأمر، فتبناه (قبل تحريم التبني) وزوجه من زينب بنت جحش ثم بمولاته أم أيمن.

وكذلك عد بعضهم في هذه الطبقة بقية أبناء النبي "صلى الله عليه وآله وسلم":

(٤) زينب (9هـ): وكان زوجها أبو العاص بن الربيع العبشمي، ولها منه ابنة اسمها (أمامة) وأمامة هذه تزوجها الإمام علي بعد موت فاطمة عليها السلام، وقد وجدت زينب عنتاً من قريش قبل هجرتها، وقد قيل أنها ربيبة النبي (ص) وربما لهذا السبب ذكرها المقريزي في كتابه (الإمتاع) مرتين، مرة في بنات النبي (ص) ومرة في ربائبه، ولكن القول ضعيف.

(٥) ورقية (2هـ): وكانت عند أحد ابني أبي لهب ثم بعد طلاقها منه تزوجها عثمان بن عفان وماتت بعد بدر، وقد قيل أنها من ربائبه لا بناته وهذا قول ضعيف.

(٦) وأم كلثوم (6هـ):: وكانت عند أحد ابني أبي لهب أيضاً وتزوجها عثمان بعد وفاة أختها، وهؤلاء البنات الثلاث عند بعض الشيعة خاصة إنما هنّ ربائب النبي (ص) ولسن بناته، وقد تحمس لهذا الموضوع السيد مرتضى العاملي، فصنف في الموضوع عدة كتب، ولكنه رأي ضعيف، وهذا يحتاج إلى بحث[3].

---

[3] ولا يصح هذا إلا إذا سلمنا بأن خديجة كان عمرها يوم تزوجها النبي (ص) أربعين سنة، فإذا كان عمرها أربعون سنة فكيف كانت رقية وزينب وأم كلثوم متزوجات قبل النبوة؟ فالنبي (ص) بعث على رأس الأربعين، وزواجه من خديجة لم يمضِ عليه سوى (١٥) سنة، ولا يمكن إلا أن يكون قد زوجهنّ وهن صغيرات، أو أنهن توأم ثلاثي! فكيف مع

(٧) وفاطمة الزهراء (11هـ): – وكانت صغيرة– وعند الشيعة أنها لم تولد إلا بعد النبوة، وهي بنت النبي (ص) باتفاق الشيعة والسنة والنواصب، بينما خالف بعض الشيعة –كما أسلفنا– في البنات الأخريات وعدّوهن من ربائبه لا من بناته – وسبق القول أن هذا قول ضعيف–، و على كل حال: ففاطمة هي أفضل نساء هذه الأمة، وفي قليل ما روى عنها أهل السنة دلائل علم بالقرآن الكريم وقوة احتجاج، وهي مظلومة داخل التيار السلفي المغالي كعادتهم مع أهل البيت، وبالغ بعض الشيعة في فضائلها لدرجة أنك لا تحب أن تسمع بعض ذلك الغلو، ففي مروياتهم سخافات، لكن لا يجوز أن يصدنا هذا عن معرفة فضلها ومكانتها، فهي ابنة نبينا (ص) وأفضل نساء هذه الأمة وسيدة نساء أهل الجنة وأم الذرية الطاهرة وزوج أمير المؤمنين وهذا يكفي.

ضميمة في أولاد النبي من خديجة:

ولعل أفضل من توسع في أولاد النبي (ص) هو الصالحي الدمشقي صاحب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد – (ج 11 / ص 16) فعقد باباً بعنوان : الباب الثالث في عدد أولاده – صلى الله عليه وسلم – ومواليدهم، وما اتفق عليه منهم وما اختلف، قال فيه ما نصه: (جملة ما اتفق عليه ستة: اثنان ذكور: القاسم وابراهيم، وأربع بنات زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة – رضي الله تعالى عنهم – وكلهن أدركن الاسلام وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم واختلف فيما سواهن، فقيل: لم يولد له صلى الله عليه وسلم سواهم والمشهور خلافه (قلت: علماً بأن إبراهيم ليس من خديجة وإنما من مارية القبطية) / قال ابن إسحاق: وكان له الطيب والطاهر أيضا، فيكون على هذا جملتهم أربعة ذكور وأربع إناث/ وقال الزبير بن بكار: وفيما رواه عن الطبراني عنه برجال ثقات كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غير إبراهيم القاسم وعبد الله وهو قول أكثر [أهل] النسب/ وقال الدارقطني: وهو الأثبت وصححه الحافظ عبد الغني المقدسي: ويسمى بالطيب والطاهر، لأنه ولد بعد النبوة وقيل: الطاهر والطيب غير عبد الله، فيكون على هذا جملتهم خمسة ذكور وقيل: كان له صلى الله عليه وسلم الطيب والمطيب ولدا في بطن، والطاهر والمطهر ولدا في بطن، فيكون على هذا جملتهم أحد عشر/ قال ابن إسحاق: ولد أولاده كلهم غير إبراهيم صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام، ومات البنون قبل الاسلام وهم يرضعون، وتقدم في قول غيره أن عبد الله ولد بعد النبوة، فلذلك سمي بالطيب والطاهر، فتحصل لنا من مجموع الأقوال سبعة

إضافة القاسم وفاطمة (فهذين عند أهل السنة مولودان قبل النبوة أيضاً، إذ لم يولد في الإسلام إلا عبد الله الطيب الطاهر)، وهناك غموض وتشويش وخلط كبير في السيرة المكية ومن باب أولى السيرة قبل بدء الوحي.

ذكور اثنان متفق عليهما القاسم وإبراهيم وخمسة مختلف فيهم عبد الله والطيب والمطيب والطاهر والمطهر، والأصح قول الجمهور أنهم ثلاثة ذكور القاسم وعبد الله وإبراهيم (و) الأربع البنات متفق عليهن وكلهن من خديجة بنت خويلد إلا إبراهيم فمن مارية القبطية/ قال محمد بن عمر (هو الواقدي): وكانت سلمى مولاة صفية بنت عبد المطلب تقبل خديجة في ولادها وكانت تعق عن كل غلام بشاتين وعن الجارية بشاة، وكان بين كل ولدين لها سنة، وكانت تسترضع لهم وتعد ذلك قبل ولادها/ وأكبر بناته صلى الله عليه وسلم زينب – عليها السلام – كما ذكره الجمهور، وقال الزبير بن بكار وغيره رقية – عليها السلام – والأول أصح/ وقال الزبير أيضا فيما نقله أبو عمرو عنه – رحمهما الله تعالى – ولد له صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله، وكان يقال له: الطيب، ويقال له: الطاهر ولد بعد النبوة، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هكذا الاول، فالأول ثم مات القاسم بمكة وهو أول ميت مات من ولد، رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مات عبد الله بمكة أيضا/ وقال ابن إسحاق: ولدت للنبي صلى الله عليه وسلم من خديجة – رضي الله تعالى عنها – زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة والقاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب، وأما القاسم والطيب والطاهر، فماتوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام وأسلمن وهاجرن معه.

قال أبو عمرو: قال علي بن عبد العزيز الجرجاني: أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم، وهو أكبر ولده [ثم زينب] / وقال ابن الكلبي: زينب ثم القاسم، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية ثم عبد الله، وكان يقال له: الطيب والطاهر، هذا ذكرهم على سبيل الاجمال وسيأتي ذكرهم على سبيل التفصيل في أبواب ذكرهم، وقال بعضهم (فذكر لهذا البعض شعراً في تسمية أبناء النبي (ص) على الترتيب وهم: القاسم ثم زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم عبد الله ثم الأخير إبراهيم من مارية) ثم قال:

تنبيهات الأول: نقل ابن الجوزي في " التحقيق " عن أبي بكر بن البرقي قال: جميع أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة سبعة ويقال ثمانية: القاسم، والطاهر، والطيب، وإبراهيم، وزينب ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة / قال في " العيون ": لولا أنه قال إنهم سبعة أو ثمانية لقلت: إن ذلك من النساخ، وهذا شئ عجيب وهو وهم إما من البرقي، وإما من غيره فإن قيل: لعله أراد آخر من خديجة يقال له: إبراهيم/ فالجواب: أن هذا لا يعرف، ويدفع هذا قوله: جميع أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة ولا مرية أن إبراهيم من مارية القبطية/ الثاني: روى الهيثم بن عدي عن هشام بن عروة عن أبيه قال: ولدت خديجة – رضي الله تعالى عنها – للنبي

صلى الله عليه وسلم عبد العزى وعبد مناف والقاسم، قال الهيثم، قلت لهشام: فأين الطيب والطاهر ؟ قال: هذا ما وصفتم أنتم يأهل العراق، فأما أشياخنا فقالوا: عبد العزى وعبد مناف/ قال الذهبي في " الميزان " والحافظ في " اللسان " هذا من افتراء الهيثم على هشام/ وقال أبو الفرج: الهيثم كذا لا يلتفت إلى قوله، وقال لنا شيخنا ابن ناصر: لم يسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد مناف ولا عبد العزى قط، والهيثم كذبه البخاري وأبو داود والعجلي والساجي، وقال ابن حبان لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا على سبيل الاعتبار، وذكره ابن السكن وابن شاهين وابن الجارود والدارقطني وغيرهم في الضعفاء، وقال في " المورد ": لا يجوز لاحد أن يقول: إن هذه التسمية وقعت من النبي صلى الله عليه وسلم ولئن قيل: إن هذه التسمية وقعت فتكون من غير النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن يكون ولد هذا الولد والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بعبادة ربه أو لغير ذلك فلما جاء سماه بعض أهل خديجة بهذا الاسم من غير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم اطلع على تسميته، وأن الولد المذكور لم تطل له حياة فتوفي ذلك الولد ولم يسمه النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، ويكون أحد من شياطين الانس والجن اختلق ذلك لما ولد أحد أولاد النبي صلى الله عليه وسلم المذكورين ليدخل في ذلك لبس في قلب ضعيف الايمان، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم لما بلغه ذلك غيره أو غير ذلك مما علمه الله – تعالى – انتهى/ ورد الطحاوي في " مشكل الحديث " والبيهقي في السنن وأبو سعيد النقاش والجوزقاني فيما صنع من الموضوعات وغيرهم ما نقله الهيثم عن هشام بن عروة، ولم ينقل أحد من الثقات ما نقله الهيثم عن هشام/ الثالث: قال الامام العلامة شيخ الاطباء ابن النفيس – رحمه الله تعالى –: لما كان صلى الله عليه وسلم مزاجه شديد الاعتدال لم يكن أولاده صلى الله عليه وسلم إناثا فقط، لان ذلك إنما يكون لبرد المزاج، ولا ذكورا فقط، لان ذلك إنما يكون لحرارة المزاج، فلما كان مزاج النبي صلى الله عليه وسلم معتدلا فيجب أن يكون له بنون وبنات وبنوه يجب أن لا يطول أعمارهم، لان أعمارهم إذا طالت بلغوا إلى سن النبوة وحينئذ فلا يخلو إما أن يكونوا أنبياء أولا لا يكونوا كذلك، ولا يجوز أن يكونوا أنبياء، وإلا لما كان هو خاتم النبيين، ولا يجوز أن يكونوا غير أنبياء وإلا لكان ذلك نقصا في حقه صلى الله عليه وسلم وانحطاطا عن درجة كثير من الأنبياء، فإن كثيرا من الأنبياء أولادهم أيضا أنبياء، وأما بنات هذا النبي صلى الله عليه وسلم فيجوز أن تطول أعمارهن، إذ النساء لسن بأهل للنبوة/ الرابع: روى ابن الاعرابي في معجمه عن عائشة – رضي الله تعالى عنها – أسقطت من النبي صلى الله عليه وسلم جنينا يسمى عبد الله كانت تكنى به ومدار سنده على داود بن المحبر وهو متروك واتهمه

جماعة بالوضع، ويرده ما رواه أبو داود وفي سننه عن عائشة – رضي الله تعالى عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: " تكني بابن أختك عبد الله بن الزبير ويروى بابنك عبد الله بن الزبير، لأنها كانت استوهبته من أبويه، فكان في حجرها يدعوها / أما ذكره ابن إسحاق: المطهر – بضم الميم وفتح الطاء المهملة والهاء المشددة، والمطيب مثله .

الباب الرابع في ذكر سيدنا القاسم ابن سيدنا ومولانا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكان القاسم أكبر أولاد النبي صلى الله عليه وسلم وبه كان يكنى فهو أول أولاده، وأول من مات منهم، ولد بمكة قبل النبوة ومات صغيرا، وقيل: بعد أن بلغ سن التميز، قال الزبير بن بكار وحدثني محمد بن نضلة عن بعض المشايخ قال: عاش القاسم حتى مشى، وقال مجاهد: عاش القاسم سبع ليال وخطأه الملا في ذلك، وروى (ابن سعد) عن محمد بن جبير بن مطعم، قال: مات القاسم، وله سنتان، وروي أيضا عن قتادة نحوه، وعن مجاهد: أنه عاش سبعة أيام، قال المفضل بن غسان: هذا خطأ والصواب أنه عاش سبعة عشر شهرا، وقال السهيلي: بلغ المشي غير أن رضاعته لم تكمل.

واختلفوا هل أدرك زمن النبوة، فروى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن أبي عبد الله الجعفي وهو جابر عن محمد بن علي بن الحسين – رضي الله تعالى عنه – قال: كان القاسم بلغ أن يركب الدابة، ويسير على النجيدة، فلما قبض، قال العاص بن وائل: لقد أصبح محمد أبتر فنزلت " إنا أعطيناك الكوثر " عن مصيبتك يا محمد بالقاسم فهذا يدل على أن القاسم مات بعد البعثة/ وروي الطيالسي، وابن ماجه عن فاطمة بنت الحسين عن أبيها قال: لما هلك القاسم قالت خديجة: يا رسول الله، درت لبينة القاسم، فلو كان الله أبقاه حتى يتم رضاعه قال: إن إتمام رضاعته في الجنة، زاد ابن ماجه (فقالت): لو أعلم ذلك يا رسول الله ليهون علي، فقال: إن شئت دعوت الله تعالى، فأسمعك صوته فقالت: بل أصدق الله تعالى ورسوله، قال الحافظ: وهذا ظاهر جدا في أنه مات في الاسلام، ولكن في السند ضعف/ وروى البخاري في تاريخه " الاوسط " من طريق سليمان بن بلال عن هشام بن عروة – رضي الله تعالى عنه – أن القاسم مات قبل الاسلام/ وروي ابن أبي عاصم وأبو نعيم: ما أعفى أحد من ضغطة القبر إلا فاطمة بنت أسد، قيل ولا القاسم قال: ولا القاسم ولا إبراهيم، وكان إبراهيم أصغرهما، قال الحافظ: هذا وأثر فاطمة بنت الحسين يدل على خلاف رواية هشام بن عروة (قلت: لكن هذه الأحاديث في ضغطة القبر منكرة ولا سيما في حق الأطفال، لأن الله لا يظلم الناس مثقال ذرة) / تنبيه: اختلف في القائل لما مات القاسم: إن محمدا أبتر فقيل: العاص بن وائل السهمي كما سبق، وجزم به خلائق،

وقيل: أبو جهل، وقيل: كعب بن الأشرف، فإن قلنا: إنه العاص بن وائل فالعاص له عقب وهو عمرو، وهشام، فكيف يثبت له البتر، وانقطاع الولد ؟ والجواب: أن العاص وإن كان ذا ولد، فقد انقطعت بينه وبينهم، فليسوا بأتباع له، لان الإسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه اهـ ثم لم يترجم لبقية أبنائه إلا إبراهيم، وترجمة القاسم في الإصابة في معرفة الصحابة – (ج 2 / ص 482) ..وفيه بعض الزيادات منها (وأما قول أبي نعيم لا أعلم أحداً من متقدمينا ذكره في الصحابة فقد ذكر البخاري في التاريخ الأوسط من طريق سليمان بن بلال عن هشام بن عروة أن القاسم مات قبل الإسلام اهـ.

(٨) أم أيمن (نحو 30هـ)– وكانت زوجة لزيد بن حارثة وهو من موالي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً– ولها فضل عظيم، وهي التي أرجعت النبي (ص) إلى مكة بعد أن ماتت أمه بالأبواء بين المدينة ومكة، (تصوروا هذا المشهد، فهذا رسول الله طفلاً يتيماً يرى أمه تموت وتدفن في الطريق ويعود يتيماً حزيناً إلى مكة بلا أم ولا أب) وماذا يكون شعور أم أيمن بهذا الطفل المسكين؟ لا يشك من يعرف فضلها وإيمانها أنها كانت تراه ابناً، وهي امرأة حبشية، فلذلك جاء ابنها أسامة بن زيد أسود، وشكك من شكك في نسبه إلى زيد بن حارثة، ولهذا فرح النبي (ص) بقول المدلجي (إن هذه الأقدام بعضها من بعض) عندما رأى أقدام زيد بن حارثة وابنه أسامة، ونقل النبي عن المدلجي هذا الكلام ليدفع عن الحب وابن الحب وعن حاضنته أم أيمن، وكان أهل السوء يؤذون النبي (ص) بمثل هذه الأقوال ، وإلا فهو كامل الثقة في هذا الأمر، والغريب أ، السلفية المغالية لا تظهر مثل هذه الأمور، أعني أذية الناس لبيت النبوة من قديم، ولا يتحمسون إلا لعائشة، وهذا خلل في الإيمان، فالتبرئة تكون للجميع، أم أيمن وعائشة ومارية، ولعل أم أيمن أفضل عند رسول الله من كل أمهات المؤمنين، وإنما أخملها قوة إيمانها، وكونها حبشية، وقد كان لها عند النبي (ص) مكانة خاصة، وقد بقيت بعد النبي سنوات قليلة، وكانت من شيعة الزهراء وشهودها في مخاصمة أبي بكر في أموال فاطمة بفدك، وكانت فاطمة هي الوارث الوحيد للنبي صلوات الله عليه، والقصة معروفة والسياسة غلابة.

(٩) أبو بكر : عبد الله (أو عتيق) ابن أبي قحافة التيمي القرشي (13هـ): المشهور بالصديق، رضي الله عنه، وهو من أوائل من أسلموا (وبالغت البكرية[4] فزعمت أنه أول من أسلم، وهذا

[4] البكرية اسم قديم للمتعصبين لأبي بكر، يستخدمه ابن أبي الحديد كثيراً في شرحه لنهج البلاغة، وابن أبي الحديد شافعي الفروع معتزلي العقيدة.، فهو سني عند الفصل بين السنة والشيعة، فلا يرى النص ولا العصمة الخ.

غير صحيح عند التحقيق بل أسلم بعد مجموعة أشهرهم أهل بيت النبي (ص))، ولكن كان من السابقين بإجماع أهل السير، مع أني بحثت إسلامه وجمعت خمسة عشر رواية في إسلامه فوجدت اضطراباً كبيراً، فيها ما يدل على السبق وفيها ما يدل على التأخر إلى ما بعد الدعوة العامة- وللدولتين الأموية والزبيرية دور في الغلو في أبي بكر وتفضيله- (وهناك روايات على أنه تأخر إسلامه، وأنه أسلم قبله أبو ذر وبريدة بن الحصيب وخالد بن سعيد وغيرهم ، بل هناك روايات تقول أنه لم يسلم إلا بعد خمسين رجلاً، وهذا محتمل لأننا نكتشف الغلو في أبي بكر رضي الله عنه يوماً بعد يوم، ومن عرف السلطة الأموية وأثرها وأهدافها عرف إمكانية وضع كثير من هذه الأحاديث والفضائل للتشويش والمزاحمة والكيد، لكن بعضها صحيح، وتواتر سبقه وجهاده وإنفاقه لا ينكره منصف، إلا أنه يجب التنبه للأحاديث والروايات الموضوعة في فضائل أبي بكر وعمر من باب الرد على الشيعة، وهذه لا يتنبه لها أهل السنة من قديم، أعني لا يتنبهون للآثار المذهبية على وضع الحديث أو الزيادة فيه أو النقص، وأنا عشت دهراً ولم أكن أنتبه إلا للأحاديث الضعيفة في فضل علي بن أبي طالب، بينما الموضوع في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان عند أهل السنة لا يقل خطورة ووجوداً عن الفضائل الموضوعة في أهل البيت في التراث الشيعي).

ولكن على أي حال فهو من أوائل من أسلم وكان له الأثر العظيم في العهد المكي إذ اشترى مجموعة من العبيد المعذبين وأعتقهم وأسلم على يديه مجموعة من الصحابة الكبار على ما ذكره بعضهم، وكان من المنفقين للأموال في سبيل الله، وقد زوّج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ابنته عائشة بعد أن فسخ خطوبتها من جبير بن مطعم.[٥] وكان صاحبه في الهجرة وثاني اثنين إذ هما في الغار وشهد المشاهد وتوفي سنة 13 هـ.

ولكن على كل حال فهؤلاء الأربعة (خديجة وعلي وزيد بن حارثة وأبو بكر) كانوا على المشهور أول من أسلم على الترتيب المذكور سابقاً على المشهور والأقوى من الروايات، وقد ذكر بعضهم في هذه الطبقة:

(١٠) ورقة بن نوفل الأسدي القرشي (أول البعثة)، وهذا – إن صح ما قيل فيه من روايات- فهو سابق إلى الإسلام على الجميع حتى خديجة لأنه الذي طمأنها بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نبي حق لكن لم يذكره أكثرهم في أول من أسلم ويبدو أن عذر من تَرَك ذكره إما أنه كان

(٥) على ما ذكره ابن سعد في الطبقات في ترجمة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعن أبيها.

كبيراً في السن فلم يلازم النبي (ص) ولم يسلم على يديه وإنما عرف صدق نبوته ثم مات مبكراً في تلك الأيام وخمل ذكره قبل بدء النبي (ص) بالدعوة، وإما قد يصدق ما يذكره بعض الشيعة من أن دوره مضخم لسبب سياسي زبيري (لأنهم جميعاً من أسد قريش)، فيرون أن تضخيم دور ورقة بن نوفل جاء من بني أسد كعروة بن الزبير ويتيم عروة وغيرهم، وأنه لا يصح أكثر ما روي في هذا الباب من أنه هو الذي أخبر النبي (ص) بأنه نبي! وأنه آمن بنبوة النبي (ص) قبل إيمان النبي (ص) بها)! ولا ريب أن هذا الرأي وجيه، وأن هذه مبالغة ظاهرة في ورقة بن نوفل، فلعل الأمر اقتصر على سؤال خديجة له وإقراره لها بنبوة النبي (ص)، وأما كون النبي (ص) لبث شاكاً في نبوته حتى آمن بها ورقة بن نوفل قبله فهذا منكر من القول والاعتقاد.

(١١) خالد بن سعيد بن العاص الأموي (نحو 15هـ): كان من أوائل المسلمين، وقيل أنه أسلم قبل أبي بكر الصديق، ذكر ذلك بعضهم في ترجمته كابن عساكر، وهذا يدل على قدم إسلامه على الأقل ؛ وهو من كبار الصحابة وقد هاجر الهجرتين، وقد هضمه أهل التواريخ رغم أنه أسبق إسلاماً من أبي بكر وعمر وعثمان على الراجح، وهذا الظلم في محوه من الذاكرة المسلمة سببه تشيعه للإمام علي بن أبي طالب واختياره ولايته بعد النبي (ص)، وآل أبي أحيحه الأربعة على نهج سابقهم خالد بن سعيد هذا .

(١٢) سعد بن أبي وقاص الزهري (57هـ): ورد ما يدل على أنه أسلم قبل أبي بكر أيضاً، فإن صح فهذا دليل على أنه من أوائل المسلمين خاصة وأنه قد ورد بسند قوي أنه أسلم ثالث ثلاثة، فهذا كله يدل على أنه من هذه الطبقة، وقد كان سعد من الصحابة الكبار ومن أهل بدر وسائر المشاهد، ومع تأخر وفاته إلى عام 57هـ وهو تاريخ وفاة أبي هريرة إلا أنه لم يروَ عنه إلا النزر اليسير قياساً بما روي عن أبي هريرة، رغم أنه من السابقين الأولين وأبو هريرة من المتأخرين فلم يسلم إلا عام خيبر، وسعد بن أبي وقاص وإن كان قد خذل الحق في عهد أمير المؤمنين إلا أنه لم ينصر الباطل، وقد ندم على اعتزاله (وحققت ذلك في بحث صغير) وكان يبث فضائل علي ويرد على معاوية سبه للإمام علي، وسعد بن أبي وقاص هو من أشهر رواة حديث المنزلة، وكان يفهم منه ملا يفهمه غلاة السلفية الذين يدّعون أنهم على فهم السلف الصالح[٦]، وقد دفع سعد بن أبي وقاص ثمن هذه الحقائق التي بثها في زمن معاوية،

---

[6] وللمتمسكين بما يسمونه (فهم السلف الصالح) نقول لهم هذا فهم سعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب على تعظيم هذا الحديث، وهما من كبار السلف الصالح، وليس كما يظهره النواصب كابن تيمية بأنه حديث عادي جداً وأنه لا خصوصية فيه لعلي، وأن المسألة تقتصر على

فقام معاوية بدس السم له ومات شهيداً رضي الله عنه[7].

توليته على المدينة، ... إلخ تلك الشنشنات، بينما نجد أن سعيد بن المسيب يستعظم هذا الحديث عندما سمعه من عامر بن سعد عن أبيه، فذهب إلى سعد بن أبي وقاص ليستفهم منه ويسمع منه نص الحديث، فالحديث عظيم ، هذا هو فهم السلف الصالح والحديث في الصحيحين، ففي جامع الأصول من أحاديث الرسول - (ج ١ / ص ٦٥٧٤) : (خ م ت) سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - :« أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- خَلَّفَ عليَّ بنَ أبي طالب في غزوة تبوك ، فقال : يا رسولَ الله، تُخَلِّفُني في النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكونَ مني بمنزلة هارون من موسى ، غيرَ أنه لا نبيَّ بعدي؟ »... أخرجه البخاري ومسلم، ولمسلم : أنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال لعليّ : « أنتَ مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي».قال ابن المسيب : أخبرني بهذا عامر بن سعد عن أبيه ، فأَحْبَبْتُ أنْ أُشَافِهَ به سعدا ، فلقيتُه ، فقلتُ : أنتَ سمعتَه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؟ فوضع إصبعيه على أُذُنَيْه ، فقال: نعم، وإلا فاسْتَكَّتا. اهـ فانظر تعظيم السلف لهذا الحديث ودلالته، وقد رواه أحمد مطولاً وفيه سياقه ما يؤكد على هذا حتى أن سعيد بن المسيب هاب أن يسأل سعداً عن هذا الحديث، ففي مسند أحمد بن حنبل - (ج ١ / ص ١٧٣) : ثنا عفان ثنا حماد يعنى بن سلمة أنبأنا على بن زيد عن سعيد بن المسيب قال : قلت لسعد بن مالك انى أريد ان أسألك عن حديث وأنا أهابك ان أسألك عنه فقال لا تفعل يا بن أخي إذا علمت أن عندي علما فسلني عنه ولا تهبني قال فقلت قول رسول الله صلى الله عليه و سلم لعلي رضي الله عنه حين خلفه بالمدينة في غزوة تبوك! فقال سعد رضي الله عنه : خلف النبي صلى الله عليه و سلم عليا رضي الله عنه بالمدينة في غزوة تبوك فقال يا رسول الله أتخلفني في الخالفة في النساء والصبيان فقال أما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى قال بلى يا رسول الله قال فأدبر علي مسرعا كأني أنظر إلى غبار قدميه يسطع وقد قال حماد فرجع على مسرعا اهـ تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح، قلت: والسياقات الدالة على أن الحديث بفهم السلف الصالح كسعد بن أبي وقاص وسعيد بن المسيب غير ذلك الفهم المستهتر الذي تبناه ابن تيمية ونقله إلى متعصبي شيعته الذين لا يحترمون ما يؤمنون بصحته إذا كان يخالف ما هم عليه من عقائد وأهواء، ولأحمد بن حنبل في فهم الحديث مذهب مقارب لمذهب السلف.

[7] ولن نذكر المصادر في هذا لأن هؤلاء لا يؤمنون بأي شيء إذا خالف ما هم عليه، فلماذا التعب؟ فليبحثوا إن أرادوا.

وقد وردت أسماء تدل على أنهم في هذه الطبقة لكن الصواب غير ذلك كأبي ذر[٨] وبريدة بن الحصيب، وعمرو بن عبسة السلمي[٩] ونحوهم .

وينبغي التنبيه إلى أنه كثيراً ما يرد الاضطراب والتناقض في تواريخ إسلام بعض المسلمين المكيين نتيجة لغموض الفترة المكية المذكور سابقاً، ولتأثير السياسة والعصبية القبلية، ولطبيعة المرحلة السرية (الدعوة الخاصة) التي قيل إنها استمرت ثلاث سنوات إضافة لفترة انقطاع الوحي، فكان الشخص يسلم وهو يظن أنه الأول أو الثالث أو الخامس... أو تكون هناك عبارة موهمة[١٠] وهكذا فلذلك يأتي الاختلاف في ترتيبهم حسب السبق إلى الإسلام.

---

[٨] ويبدو والله أعلم أنه من الطبقة الثالثة حتى وإن روي أنه خامس خمسة وقد ذكر هذا الاحتمال ابن حجر في قصة إسلام أبي ذر في شرحه للبخاري.

[٩] ويبدو أن إسلامه تأخر لفترة العرض على القبائل حتى وإن روي أنه ثالث ثلاثة بعد أبي بكر وبلال لأن بلالاً نفسه لم يسلم إلا بعد أكثر من خمسين.

[١٠] كرواية بعضهم أن عمر أسلم تمام الأربعين! وهذا خطأ إنما المراد بالأربعين هنا الذين كانوا في دار الأرقم الذين خرجوا مع عمر إلى البيت لأن عمر لم يسلم إلا بعد مهاجرة الحبشة وكانوا وحدهم أكثر من مئة من الرجال والنساء! ومن الروايات الموهمة ظن عمرو بن عبسة أن قول النبي: حر وعبد أنه لم يسلم يومئذ إلا هما! وهذا خطأ فقد يكون المراد أنه ليس معه في ذلك الوقت ساعة إسلام ابن عبسة في الطائف إلا أبو بكر لأن الإجماع منعقد على أن خديجة وعلي وزيد بن حارثة أسلموا قبل بلال ولم يكن النبي ليقتصر على قوله: (حر وعبد) وينسى نصيره الأول خديجة وربيبه علي ومولاه زيد وأمثالهم من السابقين على أبي بكر فضلاً عن بلال؛ ولعل هذه الرواية وهي شامية من غلو أهل الشام في الصحابة الذين نزلوا الشام كعمرو بن عبسة كما فعلوا أيضاً مع أبي عنبة الخولاني والضحاك بن قيس ومعن بن يزيد وثمامة بن عدي فزعموا أنهم بدريون! وهذا غير صحيح على الإطلاق! فهم بين تابعي ومجهول وصحبة عامة ، وهذا موضوع آخر لي فيه بحث مختصر، سببه أنه لفت نظري أن هناك تابعون هم عند أهل الشام بدريون أو صحابة كبار لنزولهم عندهم!